Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العجوز · أفهم أن يتركها لطلب عاجل يتعلق بالحالة · أفهم أن يأتى اليه أصدقاؤه للمواساة ثم يحدث ما يريد القاص أن يحدث · أما أن نحرك دمية على الورق لنكتب قصة عن فقدان التواصل الانسان ، فلا ·

* * *

ويبدو أن نجيب محفوظ قد أحس أنه لم يكتب كل ما يريده عما تغلغل فى وجدانه من « شقاء » تشيكوف فى قصة : « الصمت » · اذ نراه يتبعها بقصة : « القهوة الخالية » متناولا القضية من زاويتها الشهيرة : نشدان المشاركة عند الحيوان ·

فى هذه القصة يعود محفوظ الى شهر أسلحته القديمة ، فيخاطب الوجدان أكثر من مخاطبة العقل ، ناشرا غلالة الحزن الشفيفة ، ولابد من الدعابة والملاحظات الساخرة فى أشد الظروف قتامة · كل هذا فى اطار الجو التاريخى القريب المحبب الى قلبه ، بركنيه العتيدين : المكان والانسان · وعن المكان والانسان تنثال ذكريات الشخصية المحورية التى صارت هى أيضا تاريخا · شيخ فى التسعين من عمره ، مرت عليه أجيال وأجيال · وها هو يجلس وحيدا غريبا فى حياة غريبة ، الأصدقاء رحلوا جميعا · ودعهم واحدا اثر واحد « وكأنما يراهم فردا فردا كيوم احتشدت بهم جنازة مصطفى كامل » · والعتبة الخضراء لم تعد العتبة الخضراء · انها تدور كعادتها أمام عينيه الكليلتين ولكنها ليست هى · هى هى لكنها ميدان جديد تماما · وقهوة ماتانيا لم يبق من أصلها غير الموقع · « أين صاحبها الرومى الودود ، وأين الغول ذو الشوارب البلقانية ؟ والكراسى المتينة البنيان والترابيزات الرخامية الناصعة والمرايا المصفولة والبوفيه العامر بالمشروبات والنراجيل ·· » · تبدو رغم ازدحامها وكأنها خالية ، لخلوها من الأصحاب والمعارف · « ومن عادته أن يرنو الى الكراسى التى حملت قديما الأعزاء الراحلين فيتخيل وجوههم وحركاتهم · والمناقشات حول أخبار المقطم ، ومباريات النرد الحامية ، والسياسية ·· جاء زمن لم يجد فيه من رفيق سوى واحد هو على باشا مهران · وهذا الكرسى كان مجلسه · يجلس عليه قصيرا نحيلا مكوما فوق عصاه وحافة طربوشه تماس حاجبيه الأشيبين النافرين ، ويرمقه بنظرة هشة شبه دامعة من نظارة كحلية ثم يتساءل : « من منا يا ترى سيسبق صاحبه ؟ » ثم « يغرق فى الضحك ·· » ·

وها هو يودع زوجته أيضا ، فتخلو الدنيا كما خلت المقهى · تزوجها منذ أربعين عاما ، وكانت فى العشرين ، وها هى تتركه وحده : « أربعون عاما لم تخل يوما من زاهية ، منذ زفت اليه فى الحلمية ورقصت أمامهما